إيبلا ولغة الضاد

أ. حميدو حمادة
جامعة حلب

لازال الاعتقاد سائداً بأن العربية هي لغة الضاد، وغالباً ما تحل عبارة (لغة الضاد) محل عبارة (اللغة العربية)، كبدل عنها، أو للتأكيد على أن العربية وحدها تتميز بوجود حرف الضاد فيها.

فهل هذه الحقيقة لازالت قائمة إلى الآن؟ أم أنها أصبحت بحاجة إلى إعادة النظر؟

وبخاصة بعد العثور على وثائق كتابية كثيرة في إيبلا وأوغاريت وماري وبلاد سومر وأكاد؟

حيث تعرف المختصون على لغات أو لهجات قريبة جداً من اللغة العربية وكان آخرها إن لم يكن أهمها ما تم العثور عليه في موقع إيبلا (تل مرديخ) قرب بلدة سراقب في سورية.

في إيبلا تم العثور على مكتبة مذهلة يعود تاريخها إلى حوالي ٢٤٠٠ ق.م، تضم لوحات إقتصادية ولوحات أدبية ومعاهدات للسلام ولوحات دونت عليها معاجم سومرية -إيبلائية. (انظر الأشكال والصور المرفقة).

سوف نتوقف عند المعاجم المكتشفة فيها مثلما توقف غيرنا، لنر المرادفات الإيبلائية للكلمات السومرية ثم نستعرض بعض الأمثلة التي قدمها لنا كبار المتخصصين في هذا المجال، نذكر منهم ثلاثة من أبرز العاملين في مجال الدراسات اللغوية الإيبلائية:

البروفيسور بيتناتو في كتابه: (مواد إيبلا اللغوية (النصوص القاموسية الثنائية اللغة)١

البروفيسور فرونزورولي في: (مادة للمعجم الإيبلائي)٢

البروفيسور مانفريد كريبرنيك في دراسته الموسعة حول: (الإملاء في النصوص القاموسية الإيبلائية)٣

وقد ساهمت بدراسة متواضعة عام ١٩٨٩ الأصوات والتبدلات الصوتية في لغة إيبلا (ندوة دولية ١٩٩٠)

استعرضت فيها الأصوات السامية الأم من خلال مفردات إيبلا ومنها حرف الضاد.

ونظراً لتأخر نشر مجلة الحوليات الأثرية عدة سنوات فإنني أكرر هنا بعض ما قلته وبخاصة الأمثلة المتعلقة

بحرف الضاد لعلي أؤكد ضرورة البحث في هذا الأمر وضرورة المزيد من التدقيق.

وردت في النصوص السومرية - الإيبلائية كلمات توقف عندها الباحثون في لغة إيبلا، ومن هذه الكلمات كلمات تحتوي حرف الضاد وفيما يلي بعض الأمثلة:

اللفظ الإيبلائي	المقاطع الإيبلائية		الكلمة السومرية
ضَارِشْتُ ḍarištum	za-ri-iš-tum	=	GIŠ. GUL
ضَرْشَيْ ḍaršay	za-la-sa	=	Ù.SAKAB

ومن الأمثلة:

ḍaršum ضِرْسٌ مفرد مذكر (ضَرْشُمْ)

ḍaršātum ضَرِسَاتٌ جمع مؤنث سالم (ضَرْشَاتُم)

ḍarištum ضَارِسَةٌ اسم فاعل مؤنث (ضَارِيْشْتُم)

ḍaršay ضِرْسَاي مثنى مذكر (ضَرْشَايْ)

ḍarišatum ضَرِسَةٌ صفة مشبهة (ضَرِشَتُم)

هذه هي كل الحالات والصيغ المتعلقة بكلمة (ضِرْس)، في النصوص القاموسية السومرية - الإيبلائية.

- أما **الشاهد الثاني** فهو كلمة (وُضُوءٌ)

اللفظ الإيبلائي		المقاطع الإيبلائية		الكلمة السومرية
وضاؤم waḍa'um	=	wa-za-um	=	ŠU.DU

وقد وردت هذه الكلمة بصيغها التالية:

وَضَاؤُمْ waḍa'um (وضوء) اسم مفرد

وُضُومْ waḍūm (وضوء) اسم مفرد وَضُّوُمْ

waḍḍ'um (وَضَّأ) فعل ماض (مضعف)

وُضُّؤُمْ wuḍḍu'um (وَضَّأ) فعل ماض (مضعف)

وَضُؤُمْ waḍu'um (وضيء) صفة مشبهة

- الشاهد الثالث:

العض (عض)، اللفظ الإيبلائي	المقاطع الإيبلائية	الكلمة السومرية
ʿiḍu baynim	i-zu ba-ne	GIŠ.ŠINIG

عِضُّ البَانِ (غِصْنُ البَانِ).

وهي تقابل في الاكادية (إِص بين işu binu).

أما كلمة (ضرس) فهي بالأكادية (صِرْشُ şeršu).

أما كلمة (وُضُوء) فهي (وَصُو waşu).

- الشاهد الرابع:

مخض (m-ḫ-d) اللفظ الإيبلائي	المقاطع الإيبلائية	الكلمة السومرية
maḫāḍi	ma-ḫa-zi	ŠU.ŠU.RA

وفي الأكادية: مخاصو (maḫaşu).

مما تقدم نلاحظ المقارنات التالية:

العربية	الإيبلائية	الأكادية القديمة
ضِرْسٌ	ضِرْشْ	صِرْشْ
وُضُوءٌ	وَضُوء	وَصُو
عِضُّ	عِضْ	عِصُو
مَخَضَ	مَخَضَ	مَخَصَ

نلاحظ أن الضاد مشتركة بين العربية والإيبلائية بينما تحولت في الأكادية القديمة إلى الصاد.

ولاشك أن الكثير من الكلمات الإيبلائية التي تحتوي حرف الضاد قد كتبت مثل الأكادية ولفظناها صاداً في حين أن سكان إيبلا كانوا يلفظونها بالضاد وهذا ما تؤيده المعاجم السومرية - الإيبلائية.

في الختام لابد من التذكير بأن استعمال كتاب إيبلا للنظام الكتابي السومري الذي وضع للتعبير عن لغة مختلفة كلياً عن لغتهم قد حرم اللغويين من معرفة اللفظ الدقيق للمفردات الإيبلائية أو للمفردات الأكادية.

هذه الحالة من الاستعارة تكررت عبر العصور، ومن أبرز الأمثلة عليها في العصر الحديث استعمال الأتراك العثمانيين الكتابة العربية للتعبير عن لغتهم التي تأثرت كثيراً بالعربية.

وإن قصور الكتابة العربية عن تمثيل العديد من الأصوات الموجودة في اللغة التركية لايعني بأن هذه الأصوات غير موجودة.

ومن الأمثلة أيضاً استخدام العرب للخط النبطي المقتبس عن الخط السرياني، والذي لم يكن يحتوي قبل أبي الأسود أو الخليل علامات التنقيط أو الضبط، ولكن هل كان العرب يخلطون بين الطاء والظاء، أو بين الضاد والصاد؟

وهل كان سكان إيبلا يخلطون بين هذه الأصوات؟

لقد حاول الإيبلائيون وضع قيم صوتية جديدة لبعض المقاطع الكتابية السومرية لتنسجم قليلاً مع لغتهم، وتركوا لسياق النص أمر القراءة المناسبة. كما تركوا لمخزونهم اللغوي أمر التفريق بين اللام والراء الغير مميزة في نظامهم الكتابي المستعار عن الكتابة السومرية فهم يكتبون:

شَلْشُوم ويلفظونها شِرْشُوم (شِرشْ)

شَخْلُوم ويلفظونها ذَكَرُوم (ذَكَر)

لَطِبتَوُم ويلفظونها رَطْبَتَوُم (رَطْبَة)

شَأَلُوم ويلفظونها شَهْرُوم (شَهْر)

هذا ما تؤكده النصوص القاموسية المكتشفة في إيبلا والتي بلغ عدد المكتشف منها مائة وأربع عشرة لوحة طينية، نبهتنا إلى قراءات جديدة، مثلما نبهت اللغويين اللذين عكفوا جادين خلال العقدين الماضيين على استخدام المعجم العربي كلما استعصى عليهم التفسير.

وكم كانت سعادتي كبيرة حينما كنت أعمل معهم في أرشيف إيبلا خلال مدة أكثر من عشر سنوات وكم كنت فخوراً لوجود منافس عتيق للسان الضاد في لغة إيبلا، التي تنتمي إلى نفس العائلة، أما درجة القرابة، فهي دون أدنى شك الأكثر قرباً إلى العربية من حيث الأصوات والمفردات، والأكثر انسجاماً مع أكادية ما قبل سرجون من حيث الكتابة والقواعد، وهي تشكل مع الأوغاريتية والعربية، الجيل الأول والأقرب إلى اللغة التي أطلق عليها اصطلاحاً (اللغة السامية الأم). ولو أتيح لنا سماع سكان إيبلا وهم يتحدثون لعرفنا أن لغتنا العربية ليست لوحدها لغة الضاد، وأن كتابات المختصين في لغة إيبلا، واكتشاف معاجمها، ودراسة ضوابط الإملاء في أسلوبها الكتابي يؤكد وجود صوت الضاد في لغة إيبلا.

المراجع:

PETTINATO G., 1982, *Testi lessicali bilingui della biblioteca L. 2769*, *MEE 4*, Napel.

FRONZAROLI P., 1979, *Materiali per il lessico Eblaita*.

KREBERNIK Von M., 1982, Zu Syllabar und Orthographie der lexikalischen Texte aus Ebla. Teil 1. *ZA* 72.

KREBERNIK Von M., 1983, Zu Syllabar und Orthographie der lexikalischen Texte aus Ebla. Teil 2. *ZA* 73.